مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

العدد الخاص – آب – Augustus / 2025

تجلّي المرجعيّة القرآنيّة في كتابِ (أخبار الظّراف والمُتماجنينَ) لابنِ الجَوزيّ (ت597هـ)

الباحثة دعاء فاضل ميري [1]، أ. د. صلاح حسون جبار[2]
[1،2] جامعة القادسية / كلية الآداب – العراق

ملخص. يمثل حضور المرجعية الدينية في كتب التراث الأدبي قيمة فاعلة في مدونات مؤلفيها الفكرية؛ لما لها من دور تأثيري في ثقافة الكاتب وذوق المتلقي، وهذا ما نلحظهُ جليّاً من توظيف الآيات القرآنية في أحد كتب التراث الأدبي التي تزينت بها المكتبات العربية، وهو مقصد دراستنا، ألا وهو كتاب (أخبار الظّراف والمُتماجنينَ) لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي، ابن الجَوزيّ(ت597هـ)، الذي عُرفَ في مؤلفاته بسعة الفقه والوعظ، كما عُرفَ بالأسلوب الأدبي الرفيع الذي ألف عليه مختلف الكتب. ويُعدّ المنبع الديني الأصيل ولا سيما القرآني، من أول وأهم المرجعيات في نتاج المؤلف وتأليفه العلمي، وبلا شك يمكن القول إن ابن الجوزي قد وجد في القرآن الكريم خير وسيلة لممارسة تجاربه العلمية في التأليف، وتندرج في ظل الجانب الديني عدة مراتب يمثلها أولاً القرآن الكريم بالمرتبة الأسمى، الذي يجسد السمة الأساسية في الخطاب الديني، ومن ثم فالعودة إليه في خضم الإنتاج التأليفي يعني إعطاء مصداقية مميزة لمدارك الخطاب الأدبي المتنوع ودوره في ذائقة المتلقي.

الكلمات المفتاحية: المرجعية الدينية، القرآن الكريم، الظّراف والمتماجنون، ابن الجوزي.

Abstract. The presence of religious authority in the books of literary heritage represents an effective value in the intellectual writings of their authors, due to its influential role in shaping the culture of the writer and the taste of the recipient. This is what we clearly observe in the use of Qur'anic verses in one of the books of literary heritage

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

that adorned Arab libraries, and which is the purpose of our study, namely the book (Akhbar al-Zarraf wa al-Mutamajinn) by Abu al-Faraj Abd al-Rahman ibn Ali, Ibn al-Jawzi (d. 597 AH), who was known in his works for the breadth of his jurisprudence and preaching, as well as for the refined literary style in which he composed various books. The authentic religious source, especially the Qur'an, is considered one of the first and most important references in the author's output and scientific writings. Without a doubt, it can be said that Ibn al-Jawzi found in the Holy Qur'an the best means to practice his scientific experiments in writing. Within the religious aspect, several levels fall, represented first by the Holy Qur'an in the highest level, which embodies the basic characteristic of religious discourse. Therefore, returning to it in the midst of literary production means giving distinctive credibility to the perceptions of the diverse literary discourse and its role in the taste of the recipient.

Keywords: Religious authority, the Holy Quran, the humorists and the fools, Ibn al-Jawzi.

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على المبعوثِ رحمةً للعالمينَ وتمامِ عِدّةِ المُرسلينَ أبي القاسمِ محمدٍ وعلى آلهِ الطيبينَ الطاهرينَ، أمّا بعد..

جسّدت المرجعية الدينية – ولا سيما القرآنية – حضوراً فاعلاً في توظيفات المتن الأدبي القديم، ولقد وظفها الكُتّاب في توثيق مضامين مؤلفاتهم المتنوعة؛ بغية توثيق مقاصد أساليبهم النصية في مدوناتهم التي يريدون بيانها للمتلقين، وقد اتجه البحث إلى أحد كتب التراث الأدبي الغنية بفاعلية المرجعية القرآنية، وهو كتاب (أخبار الظّراف والمُتماجنينَ) لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي، ابن الجَوزيّ (ت597هـ)، (الحنبلي،1979م:329/4، ابن خلكان،1994م: 140/3، الذهبي،1984م: 365/21).

وقد عُرفَ ابن الجوزي بسعة مدارك الفقه والوعظ ، كما عُرفَ بالأسلوب الأدبي الرفيع في مؤلفاته، ويُعدّ التراث الديني من أول وأهم المرجعيات في إنتاجه وتأليفه العلمي، ومن غير شك يمكن القول: إن ابن الجوزي قد وجد في القرآن الكريم خير وسيلة لممارسة تجاربه العلمية في التأليف والنظم، والقرآن الكريم هو الذي يمثل السمة الأساسية في الخطاب الديني، ومن ثم فالعودة إليه في خضم الإنتاج العلمي يعني إعطاء مصداقية مميزة لمعاني الخطاب الأدبي المتنوع(اسماعيل،2003م: 21).

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ولطالما كان القرآنُ الكريمُ مقصد ابن الجوزي بوصفه نصاً مؤثّراً محفوراً في ذهن المؤلف والقارئ، وبهذا يستطيع ابن الجوزي العودة في نتاجه إلى فضاء واسع ورحب في الكتابة الأدبيَّة والوعظيَّة، وقد وجد في الاتجاه الديني خير معادل موضوعي لما يحسه ويكابده ويمر به من تجارب، وليس ثمة من واسطة أكثر حضوراً وأشد عمقاً وتأثيراً ألصق بالذاكرة الجمعية من المورثات الدينية(زايد،1997م: 21).

وقد قسَّم ابنُ الجوزي كتابه على ثلاثة أبواب، تجلَّت فيها المرجعيَّات الدينيَّة، لا سيَّما في الباب الأول الذي يتحدَّث عن أخبار الرجال، وهو بخمسة أقسام: (ما يُروى عن الأنبياء عليهم السلام، ما يُروى عن الصحابة، ما يُروى عن العلماء والحكماء، ما يُروى عن العرب، ما يُروى عن العوام)، وستكون دراستنا مشتملة على مبحثين: الأول: تجليات الاقتباس القرآني، والثاني: تجليات القَصصُ القرآني، نأمل أن يلقى بحثنا المتواضع الرضا والقبول، والله وليُّ التوفيق.

1 .المبحث الأول: تجلّياتُ الاقتباس القرآني:

يمثِّلُ القرآنُ الكريمُ القوةَ المركزيةَ الفاعلةَ والمؤثِّرةَ في الثقافة العربيَّة الإسلاميَّة فهو المصدر الذي انبثقت منه الرؤيةُ الدينيةُ للوجود ، وهو الخطابُ المتعالي بنسيجه الدلالي والأسلوبي المتين، وتركيبهِ اللغوي المخصوص(زياد،2001م: 90) ، والأثر البالغ الذي يتركه القرآن الكريم في نفس المتلقي آتٍ من قداسة القرآن نفسه، ((فقدسية القرآن وأثره تقع في نفس الشاعر والمتلقي وقعاً خاصاً لا يمتاز به أي نص آخر))، (جدوع ،1953م: 137).

أمَّا الاقتباس لغةً فهو: ((أخذُ القَبَسِ ـ بفتحتين ـ وهو الجُذوةُ منَ الجَمرِ، يُقالُ: قبَسَ واقتَبَسَ، ويُطلقُ الاقتباسُ على استفادةِ العلمِ على أنهُ استعارةٌ))، (ابن منظور،1955م: 167/6).

وهذا التعريف اللغوي للاقتباس مناسب لمعنى الاقتباس الاصطلاحي، لأنه يدل على أخذ المقتبس شيئا من الكتاب أو السنة ليضيء به، ومن هذا المعنى قال سبحانه وتعالى على لسان موسى عليه السلام: ((لعلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِقَبَسٍ))، (طه:10).

وأمَّا اصطلاحاً، فقد عرَّفه القزويني بأنه: ((الإتيان بالقرآن أو الحديث على الوجه المذكور اقتباساً أخذاً من اقتباس نور المصباح من نور القبس، وهو الشهاب لأن القرآن والحديث أصل الأنوار العلمية))، (القزويني، د. ت: 379).

فقد اشترط القزويني في هذا التعريف على هذا المصطلح (الاقتباس) عدم التغيير بالنص الأول المقتبس منه (القرآن أو الحديث) في قوله: (على الوجه المذكر) وإن تغير شيء من (النص الأول) فهذا تناص وليس اقباساً، كما حددت ذلك الناقدة البلغارية جوليا كريستيفا في كتابها (علم النص)،(كريستيفا،

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

د. ت: 78), والملاحظ أن القزويني ـ كغيره من النقاد أو الباحثين ـ لم يشترط على هذا المصطلح أنه في الشعر دون النثر، فهو في الشعر والنثر.

وقيل في الاقتباس: هو إدخال شيء من القرآن الكريم والحديث النبوي في النتاج الأدبي دون الإشارة إليهما مع استطاعة إجراء بعض التغيير من دون الإخلال بالمعنى(الفكيكي،1996م: 12)، فالعرب اشتقوا علومهم ومعارفهم من القرآن الكريم، فهو المصدر المشرع لهم، والأساس المتين الراسخ في بناء الفكر والثقافة الإسلامية العربية، وهو المنبع الأول للأدب الإسلامي الذي صاغ الأدباء آثارهم على هديه، واقتبسوا من نوره ما يقوي ألسنتهم وما يضمن لهم حسن القول وإتقانه(الفكيكي، 1996م: 8)، فالأخذ من معاني القرآن ومفرداته وتضمينها في النصوص تجعل من هذه النصوص ذات جمالية لغوية وصياغة جيدة، وقد عرَّفه الرازي: هو أن يضمِّن كلمة من القرآن أو أيِّ آيةٍ منه في الكلام تقريباً لنظامه(مهدي،2016م:26).

وفي القرآن الكريم صفات رائعة تجعل الأدباء ينهلون منه على الدوام، ولا يتجلى ذلك فقط القرآن الكريم، فهناك أيضاً الأحاديث النبوية تكون رديفة للمرجعيات الدينية، ولما لها من صفات جليلة صادقة التمسها الأدباء والكتَّاب في نتاجاتهم الأدبية.

وقد اتجه إليه الكتَّاب والأدباء، لكونه من الجوانب المهمة في المجتمع، فهو المصدر الأوَّل للثقافة الإسلامية وكلُّ شيء آخر يتبعه ويقوم عليه، فالمرجعية الدينية تمثِّلُ بداية التأثر بالدين، واستعمالها في النص، فتضيف له قوة ورصانة، وهناك دوافع تجعل الأدباء والكتَّاب يوظفون التراث الديني في أعمالهم منها: إنَّ الدين له ارتباط روحي بالإنسان، فضلا عن أنه يجعل من النص مقبولاً لدى متلقيه أكثر من غيره من النصوص، وهذا التوظيف يكون آية قرآنية، أو حديثاً نبوياً، لذلك نرى إلماماً كبيراً بالنصوص الدينية في الأعمال الأدبية المختلفة(الطباخ، د.ت:14) .

ومن الدوافع الأخرى إنَّ استخدام النصوص الدينية تبرز وتظهر من شخصية الكاتب وقوة اطلاعه وثقافته الدينية، إضافة إلى ما في النص الديني من ابعاد جمالية وفنية كبيرة(المدني،2015م: 60) فالنصوص الدينية تعمل على تحقيق الأهداف الأدبية والفكرية للكاتب في نصه السردي.

وفي خضم حديث ابن الجوزي عن أخبار العلماء والحكماء، قال: ((عن زكريا بن أبي زائدة، قال: كنتُ مع الشعبي في مسجدِ الكوفةِ، إذْ أقبلَ حمَّال على كتفه كودن، فوضعهُ ودخل إليه، فقال: يا شعبي! إبليس كانتْ له زوجة؟ قال: ذاك عرس ما شهدته، قال: هذا عالم العراق يُسأل عن مسألةٍ فلا يجيبُ!

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

فقالَ: ردُّوه، نعم، له زوجه، قال الله عز وجل: أفتتَّخذونه وذريَّته أَوْلِيَاءَ مِنْ دُوْنِي (الكهف:50)))، (ابن منظور،1955م: 355/12)، (ابن الجوزي،1997م: 60–61).

اقتبس المتكلم ظُرفاً منه وحسن إجابة من قول الله تعالى السابق في أنَّ لإبليس ذرية، وفائدة هذا الاقتباس بيان وضوح الأمر، فأراد المتكلِّم التوضيح بالاستدلال القرآني، وفي قول الشعبي(ذاك عرس ما شهدتهُ)، سخرية من السؤال، وفيه توضيح من كلمة (عرس) أنه نعم، له زوجة، ولكنَّه في البداية أراد تسفيه السؤال من السخرية منه، ثم أتى الاقتباس القرآني لإرادة حسم الحوار، وقد يكون الغرض من الاقتباس القرآني الاستفادة من معاني الآية وتوظيفها في موقف ما، كما في الخبر الذي رواه ابن الجوزي عن جرير عند إتيانه للأعمش يوما ورآه جالساً على خليج من ماء المطر فقال له أحدهم: ((قُمْ عبرني هذا الخليج وجذب بيده وأقامه، وركبه وقال: سُبْحَانَ الَّذي سَخَّرَ لنَا هذا ومَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ(الزخرف:13) ومضى به الأعمش حتَّى توسط به الخليج ثم رمى به، وقال: وَقُلْ ربِّي أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مُبارَكاً وأَنْتَ خَيْرُ المُنْزِلِينَ(المؤمنون:29)))، (ابن الجوزي،1997م:63)، فكان هذا ردُّ الأعمش على ذلك الرجل الذي فرضَ عليه القيامَ والركوبَ وعبْرهُ الخليج، ثم قال ذلك الرجلُ دعاء الركوب الوارد في القرآن الكريم، فأتى اقتباس الأعمش من (سورة المؤمنون) مناسباً للموقف الحاصل معه.

ويأتي الاقتباس من الظراف ظُرفاً وحسن إجابة منهم، بل وبلاغة وطلاقة لسان، كما روى المؤلف عن أعرابي: ((أقبل يريد رجلاً، وبين يدي الرجل طبق فيه تين، فلما أبصر الأعرابي غطى التين بكساء كان عليه، والأعرابي يلاحظه، فجلس بين يديه، فقال الرجل: هل تحسن من القرآن شيئاً؟ قال: نعم، قال: فاقرأ، فقرأ الأعرابي((والزَّيتُونِ* وطُوْرِ سِيْنِينَ))،(التين:1–2)، قال الرجل: فأين التين؟ قال: تحت كسائِكَ))، (ابن الجوزي،1997م:114)، تعمد الأعرابي أن يقرأ بهاتين الآيتين، من سورة التين، كما تعمد أن لا يذكر كلمة ((التين)) بلاغة وذكاء منه، وعندما سأله الرجل: أين التين؟ يقصد أين كلمة ((التين)) من الآية الكريمة؟ فأجابه: تحت كسائك، ويقصد بذلك التين الذي غطاه بنفسه، فكذلك أتى الاقتباس من القرآن الكريم مناسباً للمقام، ولسياق الموقف.

فكان من توظيف الاقتباس في النصين السابقين أنه قد اختصر الكثير من الكلام ليدل به بالكلام القليل من كتاب الله عزَّ وجلَّ على المعاني الكثيرة، فكان هذا الاقتباس وغيره من خيرة الأدلَّة على تأصيل الثقافة الإسلامية القرآنية في أذهان النحاة، نحو الأعمش، أو الأعراب وغيرهم من الحكماء، كما دلَّ هذا الإرجاع إلى القرآن الكريم في بعض أحداث الناس آنذاك اليوميَّة إلى أنَّ القرآن الكريم كان كامناً

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

في النفوس يقدر كلٌّ منهم أن يعود إليه في لحظة معيَّنة، كلحظة الضعف، أو لحسن الرَّد وإظهار البلاغة والرجاحة على عادة الظراف، كما هو معروف عنهم.

وقد يأتي الاقتباس من القرآن الكريم على غير المعنى المراد له في القرآن، ليؤدي غرضا ما أراده المتكلم، كما ورد في هذا الخبر: ((عُرِضَ على رجل جاريتان: بِكْر وثيِّب، فاختار البِكْر، فقالت الثيِّبُ: ما بيني وبينها إلا يوم، فقالت البِكْر: وإنَّ يَوماً عِنْدَ ربِّك كألفِ سنةٍ ممَّا تعدُّونَ (الحج:47) ، فاشتراها)) ، (ابن الجوزي،1997م:148).

فاقتبست قولها من القرآن الكريم لعقد المقارنة بينها وبين الثيّب، من قول الله عزَّ وجلَّ: ((ويَستَعجِلُونَك بالعَذابِ ولَنْ يُخلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وإنَّ يوماً عِنْدَ رَبِّكَ كألفِ سنةٍ ممَّا تَعُدُّوْنَ))،(الحج:47)، فهي لم تقصد نفس المعنى الذي في الآية الكريمة، وإنما قصدت الإشارة إلى أنَّ الفرق ليس بسيطاً ولا يقتصر على يوم واحد كما زعمت، وهذا من فطنة العرب ومن حسن الرَّد، وأنَّ الفرق بين البكر والمتزوجة كبير، وهذا أيضا من فوائد استخدام الاقتباس ليدلَّ على بلاغتها، وظرفها، وأدبها.

وفي موضع آخر ذكر ابن الجوزي: ((قال رجلٌ لجاريةٍ اشتراها: كَمْ دفَعُوا فيكِ؟ فقالتْ: ومَا يعلمُ جنودَ ربِّكَ إلَّا هُوَ(المُدثر:31)))،(ابن الجوزي،1997م:150)، فرجعتْ إلى القرآن الكريم بجوابها، وأرادت أنَّها لا تعرف، وأنَّ سيدَها يعلم ذلك، والخبر السابق يدلُّ على ضعف المرأة وانعدام حقوقها، ومن جانب آخر سرعة جوابها، وبديهتها من خلال الاحتكام إلى تلك الآية.

ويَروي ابن الجوزي في أوَّل خبر من القسم الرابع من الكتاب (فيما يروى من ذلك عن العرب): قال أعرابي شعراً :

ولسْتُ مُسلّماً ما دمْتُ حَيّاً على زيدٍ بتسليمِ الأميرِ(ابن الجوزي،1997م:109)

فجملة (ما دمتُ حيَّاً) مقتبسةٌ من قوله تعالى على لسان النبي عيسى عليه السلام: ((وأَوْصَانِي بالصَّلاةِ والزَّكاةِ ما دُمتُ حيًّا))،(مريم:31)، أي: مدَّة حياتي، والمعنى: مادام عيسى بن مريم (عليه السلام) لن يترك الصلاة والزكاة ما دام حيَّاً، فكذلك الأعرابي لن يُسلِّم على زيد (وهو أخوه) ما دام حياً كذلك، وأفاد هذا الاقتباس تأثر العرب بلغة القرآن الكريم، فقد دخل في كلامهم وأشعارهم عن طيب خاطر دون تعمد، فهذا البيت أتى ارتجالاً من ذلك الأعرابي، ومن ذكاء الأعراب وفطنتهم ويسترسل لنا ابن الجوزي في ذكر الاخبار الموشحة بالآيات القرآنية التي وردت فيها من ذلك: ((قال رجل لرجل: ممن أنت؟ قال : من العرب من بني تميم قال : من أكثرها أو من اقلها ؟ قال : من أقلها , يشير الى قوله تعالى: إنَّ الَّذينَ يَنادونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أكثرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ(الحجرات:4)))،(ابن الجوزي،

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

1997م: 150)، فقولُ الرجلِ: إنَّهُ من أقلِّها، لأنَّ أكثرهم كانوا ينادون الرسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) من وراء حُجرات بيته من دون رعاية لمقتضى الأدب، فذمهم الله تعالى ووصفهم بأنهم لا يعقلون وهؤلاء الأكثر.

ولعلَّ السائل لمْ يجدْ وسيلةً يصل بها لجواب سؤاله أفضل وأجمل من تلك الإشارة لقول الله تعالى السابق فقد تكون مَلَكته اللغوية أو مَلَكة غيره من مثل هذه الأحوال فقيرة وناقصة، فكان من اللجوء إلى النص الروحاني لينتقل من وضع السكون لوضع الفاعلية والحركة، ومن هنا فالثقافة الدينية ((تأتي لكي تكمل النقص والافتقار، ولكي تنقل الإنسان من الوضع الساكن والناقص إلى الوضع الإنساني والروحي والأخلاقي الفاعل والمتحرك والذي ينتسب إلى عالم الفكر والروح))،(ميلاد ،2010م:149)، ويأتي الاقتباس القرآني وسيلة من خيرة الوسائل لدى بعض الظراف لإظهار ظُرفهم وبراعتهم، كالخبر الذي أورده ابن الجوزي: ((عن عبد الرحمن بن مخلد: دفعتْ امرأةٌ إلى رجل يقرأ عند القبور رغيفاً، وقالت له: اقرأ عند قبر ابني، فقرأ: يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقوا مَسَّ سَقَر(القمر:48)، قال: فقالت له: هكذا يُقرأ عند القبور؟! فقال لها فإيش أردت برغيف؟ متَّكئينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ اسْتَبْرَقٍ وجَنَى الجَّنتين دَانٍ(الرحمن:8)، ذاك بدرهم!))،(ابن الجوزي،1997م:136).

إنَّ العودة إلى القرآن الكريم والأخذ من معانيه ومفرداته وتضمينها في النصوص تجعل هذه النصوص مؤثرة في نفس المتلقي، والاستعارة منه ومن الحديث الشريف في بعض جوانبه كالزخرفة التي تزين الكلام وتعطيه رونقاً ورشاقة،(عبد المحسن، 2004م :49) .

فالاقتباس ظاهرة حاضرة في الأدب العربي، والرسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) نفسه أفصح العرب لساناً، وأحسنهم فصاحة وبياناً، كان يتحدَّث بالقرآن، أو يشير إلى بعض معانيه، ومثال ذلك: ((قالَ محمدُ بنُ إسحق: لمَّا خرج رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى بدر هو ورجل آخر تبعه، فرأيا رجلاً فسألاه عن قريش، وعن محمَّد وأصحابه خرجوا يوم كذا: فقال الشيخ: لا أخبرُكُمَا حتَّى تخبراني منْ أنتُما، فقالَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: إذا أخبرتنا أخبرناك، فقال الشيخُ بلغني أنَّ محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا، فإن كان صدق الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا، وبلغني أنَّ قريشاً خرجوا يوم كذا، ثمَّ قال: من أنتم؟ فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم: (نحن من ماء) وكان العراق يُسمَّى ماءً، فأوهمه أنَّه من العراق، وإنَّما أراد أنَّه خُلقَ من نُطفة))، (ابن الجوزي،1997م:48) .

فاقتبس رسولُ الله محمَّدٌ (صلَّى الله عليه واله وسلَّم) كلامه من قول الله تعالى: ((واللهُ خَلَقَ كلَّ دابَّةٍ مِنْ ماءٍ))، (النور:45)، وورد ذلك في قوله تعالى: ((أَلَمْ نَخْلُقْكم مِنْ ماءٍ مَهينٍ))، (المرسلات:20)،

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

أشار بذلك إلى كيفيَّة خَلْقِ الإنسان، فكانَ رسولُ الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) يشيرُ إلى قدرة الله تعالى وعظمته، فهذه المخلوقات خلقها الله تعالى من ماء ثمَّ تصير في أشكالٍ مختلفةٍ، فإنَّه على كلِّ شيء قدير (الطباطبائي،1997م:173/15).

وفي اقتباس آخر للرسول عليه الصلاة والسلام ما ذكره ((مجاهد، قال: بينا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في أصحابه إذ وجد ريحاً، فقال: ليقم صاحب هذه الريح فليتوضَّأ، فاستحيا الرجل، ثم قال: ليقم صاحب هذه الريح فليتوضأ ، فإنَّ الله لا يستحي من الحق، فقالَ العباسُ: ألا نقوم يا رسولَ الله كُلُّنا نتوضَّأ؟))،(ابن الجوزي،1997م:54)،(الألباني، د.ت: 268/3)، فإنَّ رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) أمره بما هو خير له وهو الوضوء بحسب هذه الرواية، فكان تعبير النبي (صلَّى الله عليه واله وسلَّم) قائماً على الخصال القرآنية الموجهة للإنسان، وهي حاملة منفعة له من ناحية ومن ناحية أخرى بيان لشريعة الله تعالى،وهي خصال مشتقة من قوله تعالى:((واللهُ لا يَسْتَحِي مِنَ الحَقِّ))،(الاحزاب:53).

وفي مرجعية قرآنية أخرى ذكرها ابن الجوزي، قول عثمان بن سعيد الرازي: ((حدَّثني الثقة من أصحابنا، قال: لمَّا مات بشرٌ المَريسيّ لم يشهدْ جنازته أحدٌ من أهلِ العلمِ والسُّنَّة إلَّا عُبيد الشونيزي، فلمَّا رجع من الجنازة، لاموه، فقال: انظروني حتَّى أخبركم، ما شهدتُ جنازة رجوت فيها من الأجر ما رجوت في شهود جنازته، إنّي لمَّا قمتُ في الصفِّ الأوَّل، قلتُ: اللهمَّ عبدُك هذا كان لا يؤمن برؤيتك في الآخرة، اللهمَّ فاحجبْه عن النظر إلى وجهك يوم ينظر إليك المؤمنون، اللهمَّ عبدُك هذا كان لا يُؤمِنُ بعذابِ القَبْر، اللهمَّ فعذبه اليوم في قبره عذاباً لم تعذبه أحداً من العالمين، اللهمَّ عبدك هذا كان ينكر الميزان، اللهمَّ فخفِّفْ ميزانه يوم القيامة، اللهمَّ عبدك هذا كان ينكر الشفاعة، اللهمَّ فلا تُشفِّع فيه أحداً من خلقك يوم القيامة , قال : فسكتوا عنه وضحكوا))،(ابن الجوزي،1997م:70).

فقول الشونيزي: ((يوم ينظر إليك المؤمنون)) مقتبس من قوله تعالى: ((وجوهٌ يومئذٍ ناضِرةٌ* إلى ربِّها ناظِرةٌ))، (القيامة:22–23)، وكان يريد من ذلك ألَّا يجعله الله تعالى من المفلحين يوم القيامة، وقوله: (لم تعذبه أحداً من العالمين) مقتبس من قوله تعالى: ((فإنّي أعذِّبُهُ عذاباً لا أعذِّبُهُ أحداً مِنَ العَالَمِين))،(المائدة:115)، وقولُه:(فخفِّفْ ميزانه يوم القيامة) مقتبس من قوله تعالى: ((ومَنْ خفَّت موازينُهُ فأولئكَ الَّذينَ خَسِرُوا أنفسَهُمْ في جهنَّم خالِدُونَ))،(المؤمنون:103)، فهذا يدلُّ على اقتباس الناس بمختلف طبقاتهم من القرآن الكريم لتأثّرهم به، وليزيّنوا كلامهم بالقرآن تأكيداً وبلاغة في مقاصد الخطاب.

وكذلك استعان أبو الحسن المدائني بالاقتباس القرآني، بقوله: ((قال بعض أهل العلم كان لنا صديق من اهل البصرة، وكان ظريفاً أديباً، فوعدنا أن يدعونا إلى منزله، وفكان يمرُّ بنا، وكلَّما رأيناه،

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

قلنا له: ((مَتى هَذا الوَعدُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ))، (الانبياء:38)، فيسكتُ إلى أن اجتمع ما نريد، فمرَّ بنا، فأعدنا عليه، فقال: انطَلِقُوا إلى ما كُنتُمْ بهِ تُكَذِّبُوْنَ(المرسلات:30)))،(ابن الجوزي،1997م:89)، فقد اقتبسوا هم من القرآن الكريم قوله تعالى: ((مَتى هَذا الوَعدُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ))، وهو تذكير لصاحبهم بوعده لهم عندما ظنُّوا أنَّه أخلف بوعده وكذَّبوه، وكذلك هو أيضاً أقتبس من القرآن الكريم الآية التي ردَّ عليهم بها، وهو قوله تعالى: ((انطَلِقُوا إلى ما كُنتُمْ بهِ تُكَذِّبُوْنَ)).

وهذا خبر آخر رواه ((أبو الحسن بن المتيم الصوفي يسكنُ الرصَافة، وكانَ مطبوعاً مضحاكاً، وكان دائماً يتولَّع برجل شاهد فيه غفلة يُعرف بأبي عبد الله إلْكِيا، قال ابن المتيَّم: فلقيته يوماً في شارع الرصافة، فسلَّمتُ عليه وصحت به: لتشهدْ عليَّ، فاجتمع الناس علينا وقال: بماذا؟ قلتُ: إنَّ الله تعالى إلهٌ واحدٌ لا إله إلَّا هوَ، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنَّ الجنةَ حقٌ، والنارَ حقٌ، والساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأنَّ الله يبعثُ مَنْ في القبور، فقال أبشر يا أبا الحسين، سقطتْ عنك الجزيةُ، وصرتَ أخاً من أخوننا، فضحِكَ الناسُ وانقلبَ الولعُ بي))،(ابن الجوزي،1997م:95)، ونرى أبا الحسن استمدَّ كلامه من قول الله عزَّ وجلَّ: ((وأنَّ السَّاعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها وأنَّ اللهَ يبعَثُ مَنْ في القُبُورِ))،(الحج: 7).

وفي مرجعية دينية أُخرى ذكرها لنا ابن الجوزي قوله:((سافر أعرابي في وجه فلم ينجح، فقال: ما ربحنا في سفرنا إلا قصر الصلاة))،(ابن الجوزي،1997م:117)، فاقتبس قوله هذا من قوله تعالى: ((وإذا ضَرَبتُمْ في الأرضِ فليسَ عليكُمْ جُناحٌ أنْ تقصُروا مِنَ الصَّلاةِ إنْ خِفتُم أنْ يفتِنَكُمُ الَّذينَ كفَرُوا إنَّ الكافرينَ كانُوا لكُمْ عَدوًّا مُبِيْنَاً))،(النساء:103)، وكأنَّ آياتِ القرآنِ الكريمِ صارت سائدة على الألسنة في ذلك العصر، فجاءت عبر الاقتباسات أثناء كلام الناس، وهذا من فنون البلاغة وهذا يدل على تفوق الثقافة الدينية على غيرها، ليؤتى بها عفو خاطر أثناء الخطاب أو أثناء كل خطاب في ذلك العصر.

2 .المبحث الثاني: تجلّياتُ القَصص القرآني:

ذكر القرآنُ الكريم قصصاً كثيرة فيها العبرة والفوائد والعلم، منها قصص الأنبياء كقصص موسى ويونس وإبراهيم ونوح ويوسف وغيرهم عليهم الصلاة والسلام، وقصص الحكماء، نحو قصَّة لقمان الحكيم وهو يعظ ابنه وذي القرنين ، وقصص الأنبياء مع الحكماء، نحو قصَّة موسى مع الخضر عليهما السلام، وبعض القصص التي فيها عِبرٌ نحو قصَّة أصحاب الجنة، وأصحاب الكهف وغيرها.

وقصص الملائكة نحو قصة خلق آدم وغير ذلك مما استحوذ على الذهن وملكت لغته الربانية القلوب وعلموا أنه الحق من ربهم، ((وبعضها ذكرت على غير طبيعتها وإنما كانت آية من آيات الله تعالى، كعصا موسى عليه السلام التي تحولت إلى أفعى، وطير عيسى عليه السلام الذي صنع منه

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

كهيئة الطير ونفخ فيه فأصبح طيراً بإذن الله تعالى، ومن ذلك أيضا طير الأبابيل التي أرسلها الله تعالى على أبرهة وقومه))،(بهجت، د.ت:7)، والقصُّ بدأ حين انتهت الأحداثُ وأصبحت ماضياً(الكواز، 2014م: 15)، فالقص القرآني يختلف عن القص البشري بكونه كلام الله تعالى، وبأسلوبه، وجودته وجماله، ووصفها تعالى بأنها: ((أَحْسَنَ القَصَصِ))، (يوسف:3)، وهذا الوصفُ العظيمُ من الله تعالى يدلُّ على أنَّها أصدقها وأنفعُها للعباد، ولها منافعُ عديدةٌ، منها أنَّ بها يكتملُ الإيمانُ بالأنبياء، وإنَّ في قصصهم تقرير بالإيمان بالله وإخلاص العمل له سبحانه، والإيمان باليوم الآخر وحسن التوحيد ووجوبه، وتقبيح الشرك، كما انها عبرة لأولي الألباب.

والقصَّةُ قد تطولُ وقد تقصرُ في الذكرِ الحكيم، ولعلَّ طولَ القصَّة في القرآن الكريم لا يسمح بسردها كاملة في نثر الناثرين وفي شعر الشعراء، ولكنهم يقتبسون منها قبساً، أو يشيرون إليها إشارة، كذكر جملة منها أو يمكن التلميح إليها على سبيل المثال، كما ذكر ابن الجوزي في قصَّة الهدهدِ مع سليمانَ (عليه السلام) فقد ذكر في الإسرائيليات: ((إنَّ الهُدهدَ جاء إلى سليمانَ، فقالَ: أريدُ أن تكونَ في ضيافتي، فقال سليمانُ: أنا وحدي؟ فقال: لا بلْ أنتَ والعسكر، في يومِ كذا، على جزيرةِ كذا فلمَّا كانَ ذلك اليومُ، جاءَ سليمانُ وعسكرُهُ فطارَ الهدهد، فصاد جرادة، فخنقها ورمى بها في البحرِ، وقال: كُلوا، فمنْ لمْ ينلْ من اللحمِ، نالَ من المرقةِ،فضحكَ سليمانُ من ذلك وجنودُه حولاً كاملاً))،(ابن الجوزي،1997م:47).

هذا ليس اقتباساً بالمطلق من قصَّةِ الهُدهدِ مع سليمانَ (عليه السلام)، ولكنَّه اقتباس جزئي لأنَّهُ استحضر شخصيَّة الهدهد وشخصيَّة نبيّ الله سليمانَ (عليه السلام)، وكذلك قوله: (الهدهد جاء إلى سليمان) فهذه إشارة للقصة المعروفة، كما في قوله تعالى: ((وَتَفَقَّدَ الطَّيرَ فَقَالَ مَالِي لَا أَرَى الهُدهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الغَائِبِينَ))، (النمل:20).

وهذا الاقتباس غيرُ المباشرِ أو الإيحائي لمْ يأتِ إلا من قوَّة الشخصية المستدعاة، ولما لها من قدرات إيحائية فإنَّ ((أوَّل المُبررات الفنيَّة لاستدعاء أيَّةِ شخْصيَّةٍ تراثيةٍ هوَ استغلالُ ما تمتلكهُ هذه الشخصيةُ من قدراتٍ إيحائيةٍ قويةٍ ناجمةٍ عمَّا ارتبطتْ بها من دلالات في وجدان المتلقي ووعيه، بحيث يكون استدعاء الشخصية التراثية مثيراً لتلك الدلالات وباعثاً لها))، (زايد،1997م:279)، فأكثر ما يتذكر المتلقي من قصص النبي سليمان (عليه السلام) قصَّته مع الهدهد لشهرتها ورسوخها في الأذهان، فالاقتباس الإشاري وغير المباشر هو ذكر عنصري القصَّة الأساسيين: سليمان عليه الصلاة والسلام والهدهد.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

وقد وردت أيضا طائفةٌ من الأخبار في كتاب ابن الجوزي التي فيها اقتباس من قصَّة موسى عليه السلام، منها: ((قال يهودي لأمير المؤمنين عليٍّ: ما دفنتم نبيَّكم حتَّى قالت الأنصار منَّا اميرٌ ومنكم أمير، فقال له عليٌّ: أنتم ما جفَّت أقدامكم من البحر حتَّى قلتم: اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا (الاعراف: 138)))، (ابن الجوزي،1997م:54)، فكلامه مقتبس من القرآن الكريم في قصه موسى عليه السلام : ((وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إسرائيلَ البَحْرَ فأَتَوا على قومٍ يَعْكِفون على أصنامٍ لهُمْ قَالُوا يا موسى اجعلْ لنَا إلهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قالَ إِنَّكُمْ قَومٌ تَجْهَلُونَ))، (الأعراف: 138)، فبعد أن نجّاهم الله عزَّ وجلَّ من فرعون وقومه وتبيَّنت لهم آيات الله تعالى وقدرته، طلبوا من موسى عليه السلام أن يصنع لهم صنماً.

وإنَّ هذا أيضاً يأتي مع ذكر رسول الله محمد(صلَّى الله عليه واله وسلَّم) وموقع بدر المعروف الذي جرت فيه أول معركة في الإسلام ، وتلك القصة التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم ، قال سبحانه : ((وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدرٍ وأَنْتُم أذلَّةٌ))، (آل عمران: 123).

وهذه القصَّة، قصَّة المعركة المذكورة في القرآن، لا شك في أن القارئ قد استحضرها عند قراءة الخبر الذي أورده ابن الجوزي عن رسول الله(صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، قال: ((لما خرج رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى بدر خرج هو ورجل آخر فرأيا رجلاً...))،(ابن الجوزي،1997م:48)، إلى آخر الخبر، كذلك هو اقتباس إشاري، لأنه بالضرورة يستوجب استحضار أحداث المعركة أو المعركة والحادثة كلها، فإذا كان الاقتباس في العصر الحديث معناه تضمين شيء من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف على أن يكون المتكلم جزءاً من كل الكلام (وهبة والمهندس، 1984م: 56)، فإن قصة بدر حاضرة في المثال السابق بشكل مباشر، (عندما خرج رسول الله صلَّى الله عليه واله وسلَّم إلى بدر...) وبشكل غير مباشر، لأنه لم يذكر القصة كاملة ولكنه اقتبس جزءاً يسيراً منها بما يفيد غرض إظهار البلاغة وحسن التصرف .

وتكون القصة القرآنية اقتباساً مع خبر من أخبار الظراف أوضح منها في المثالين السابقين أو هي أشد حضوراً للتصريح بعبارات من جوهر تلك القصة، كالقصة التي أوردها ابن الجوزي، وقال فيها: ((قال سعيدُ بن حفص المديني: قالَ أبي: أُتيَ المأمونَ بأسود قد ادَّعى النبوَّة، وقال: أنا موسى بن عمران! فقال له: إنَّ موسى أخرج يده من جيبه بيضاءَ، فأخرج يدك بيضاءَ حتَّى أؤمن بك، فقال الأسود: إنما فعلَ موسى ذلك لمَّا قالَ له فرعون أنا ربُّكم الأعلى! فقلْ أنت كما قال حتَّى أخرجَ يدي بيضاءَ، وإلَّا لم تبْيَضَّ))،(ابن الجوزي،1997م:106)، فهذا رجل من مُدَّعي النبوة، وأدعى كذلك أنه هو موسى نفسه! وعندما طلب منه المأمون معجزة موسى عليه السلام: ((فَنَزَعَ يدَهُ فَإِذَا هيَ بيضاءُ لِلْنَاظرينَ))،

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

(الأعراف: 108)، وقوله تعالى: ((اذْهَبْ إلى فِرْعَونَ إنَّهُ طَغَى* فقُل هَلْ لَكَ إلى أنْ تَزَكَّى* وأَهْدِيَكَ إلى ربِّكَ فتَخْشى* فأَرَاهُ الآيَةَ الكُبرى* فَكَذَّبَ وَعَصَى* ثُمَّ أدْبرَ يَسْعَى* فَحُشِرَ فَنَادَى* فقَالَ أنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى))، (النازعات: 17– 24)، فكانت المرجعيَّة القصصيَّة وسيلةً حاضرةً ليردَّ بها مدَّعي النبوَّة طلبَ المأمون، لكنَّ هذا المدعي الكاذب جهل أنَّ قولَ فرعون بأنَّه الرب الأعلى أتى بعد أن حُشر ونادى وذلك بعد تكذيبه لموسى، ولكن لا ينفي ذلك أنَّ فرعون كان يدعي الألوهية قبل موسى، وكذلك حسن الإجابة أتت من الاقتباس الأول (طلب المأمون) وهو الاقتباس والأمر الذي أبهت المدعي فما كان أمامه إلا التهرب من هذا الطلب المعجز إلا بالمكر والالتفاف.

ومن الأخبار التي تشير إلى القِصَصِ القرآنيَّة التي أوردها ابن الجوزي: ((قال رجل لنسوةٍ: إنَّكنَّ صواحب يوسف، فقلْنَ: فمن رماه في الجبِّ نحن أو أنتم؟))،(ابن الجوزي،1997م:151)، فأشارت النسوة إلى قوله تعالى: ((قالَ قائلٌ مِنْهُم لا تَقتُلُوا يُوسُفَ وأَلْقُوهُ فِي غِيَابةِ الجُبِّ يلتقطْهُ بعضُ السيَّارةِ إنْ كُنْتُمْ فَاعِلينَ))،(يوسف:10)، وهذه الإشارة من حُسن المُحاجَجَة، ومن فنون الردِّ البديعة الظريفة، وتُعد قصَّة النبيّ يوسف(عليه السلام) من القصص الغنيَّة بالدروس والعبر والقيم والأخلاق والثبات على الحق.

وأورد ابن الجوزي هذا الخبر الذي تناص مع قصَّة مُوسى(عليه السلام)مع الخضر(عليه السلام)، الواردة في سورة الكهف، قال ابن الجوزي: ((وكان بين يدي معاوية ثريدة كثيرة السمن، ورجل يواكلُهُ فخرقه إليه، فقال له: أَخَرَقتها لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا(الكهف:71)، فقال: فَسُقْنَاهُ إلى بَلَدٍ مَيّتٍ(فاطر:9)))، (ابن الجوزي،1997م:84)، وهذه الآية مقتبسة من قوله تعالى: ((قالَ لهُ مُوسَى هلْ اتَّبعُكَ على أنْ تُعلِّمنِي ممَّا عُلِّمتَ رُشداً* قالَ إنَّك لنْ تَسْتَطِيعَ معيَ صَبْراً* وكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى مَا لمْ تُحِطْ بهِ خُبراً* قالَ سَتَجِدُنِي إن شَاءَ اللهُ صَابراً ولا أعْصِي لَكَ أمْراً* قال فإنْ اتَّبعتني فَلا تَسْأَلْني عن شَيْءٍ حتَّى أحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً* فَانْطَلَقَا حتَّى إذا رَكِبَا في السَّفينةِ خَرَقَهَا قالَ أَخَرَقْتَهَا لتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيئاً إمْرَاً))(الكهف:66–71).

وأراد معاوية من اقتباسه قوله تعالى: ((فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ ميَّتٍ))، أنَّه يعطيه تلك الثريدة، وأراد الرجل من اقتباسه القصصي من سورة الكهف إنكار فعل معاوية في خرق الثريدة، فمعاوية إذن خرق السمن للرجل، وما كان الرجل يعلم أنه إليه، ومن هذا يستدل المرء على شدة حضور آيات القرآن الكريم في نفوس أهل ذلك الزمان بقصصه وعبره وكل ما فيه، كما يستدل على سرعة استحضار الآيات في حين لزم الكلام بشيء من القرآن.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ومن أمثلة ذلك أيضاً: ((ولمَّا ماتَ جعفرُ بنُ محَمدٍ، التقى هو وأبو حنيفة، فقال له أبو حنيفة: أمَّا إمامُكَ فقدْ ماتَ، فقالَ لهُ شيطانُ الطاقِ: أمَّا إمامُك فمن المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم))، (ابن الجوزي،1997م :73)، وقول شيطان الطاق هذا فيه تناص ديني مع قصص القرآن الكريم، فيما رُوِي عن إبليس عندما أبى أن يكونَ مع الساجدين، قال سبحانه وتعالى في ذلك: ((قالَ رَبِّي فأَنْظِرنِي إلى يَومِ يُبْعَثُون* قالَ فإنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ* إلى يَوْمِ الوَقتِ المَعْلُومِ)) (الحجر:36-38)، وأراد شيطانُ الطاق من هذا الرد القاسي تشبيه أبي حنيفة بأصل الشر إبليس، وهذا اقتباس من قول إبليس الذي أورده الله تبارك تعالى في القرآن العظيم، ولكنَّ الكلام له أبعاد باللزوم لا تخفى عن أبي حنيفة، ومنها السخرية، ذلك لأن الخلد ليس لبشر، فأبو حنيفة الآن قد فارق الحياة، فكان المتكلم حين قال ذلك إذا يعلم أنه سيفارق الحياة، ولن يبقى مثل إبليس إلى يوم الدين، وفيه بعد آخر وهو ذم أبي حنيفة لتشبيهه بإبليس ضمنياً، وبالتالي رفع شأن إمامه هو.

وفي خبر آخر يرويه ابن الجوزي: ((أن عبد الله بن رواحة كان مضطجعاً، فقال: (رواحة، 2010م: 56)

أتَانا رَسُـولُ اللهِ يتلُو كتابَـهُ كمَا لاحَ مشهودٌ مِنَ الصبحِ ساطعُ
أتَى بالهُدى بَعْدَ العمَى فقُلُوبُنَا بِـهِ مُـوقِنَاتٌ أن مَـا قَالَ واقـعُ
يَبِيْتُ يَجافَى جنبهُ عَنْ فراشِه إذا استثلقتْ بِـالكَافرينَ المضاجعُ)) (ابن الجوزي،1997: 55)

في الأبيات السابقة اقتباس مع آيات الذكر الحكيم، ((ويجوز للمقتبس أن يغير في الآية أو الحديث قليلاً))، (وهبة والمهندس، 1984م: 56)، فإذن لا يمنع إجراء بعض التغيير عند المتكلم، في الكلام من كونه اقتباساً، ففي الشطر الأول من البيت الأول إشارة إلى قوله تعالى: ((هوَ الَّذي بعثَ في الأمِيّينَ رَسولاً مِنْهُم يَتْلُو عَلَيهم آياته ويزكّيهِمْ ويعلّمُهُمُ الكِتابَ والحِكمةَ))(الجمعة:2)، وفي الشطر الأول من البيت الثاني إشارة لقوله تعالى: ((هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ))(الصف:9)، وفي الشطر الأول من البيت الثالث إشارة لقوله تعالى: ((تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ))(السجدة: 16).

فالاقتباس من آيات أو معاني آيات القرآن الكريم ظاهر في هذه المقطوعة الشعرية لابن رواحة الواقعة يمدح رسول الله (صلَّى الله عليه واله وسلَّم) والتي لم تخرج عما مدحه الله بها في القرآن الكريم فأراد عبد الله بن رواحة من هذا الاقتباس أن يلفت النظر عن أن يقرأ من القرآن نفسه، فكان منه بهذا الظرف وبتلك البلاغة الأدبية أن يفلت من الطلب بأن يقرأ شيئاً من القرآن لأمر أراد أن يخفيه، فجاء

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

هذا الاقتباس المكثف دليلاً على رسوخ القرآن الكريم في نفس الشاعر ودليلاً على قوّة تأثير القرآن الكريم في ثقافة ابن رواحة، ومن ثمَّ فهو دليل على رسوخ هذه المرجعية وحضورها القوي في كتاب أخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي باعتبار أنه أورد هذا الخبر وغيره مما يشبهه في كتابه هذا.

ومما يعزز حضور تلك الثقافة القرآنية وحضورها في كل من كتاب ابن الجوزي، وفي أذهان ونفوس أصحابها، هذا الخبر عن مالك بن أنس أنه روى للشطار ملاحة: ((كان أحدهم يصلي خلف إنسان، فقرأ الإنسان ((الحَمدُ لِلهِ ربِّ العَالَمِينَ))(الفاتحة:2)، حتَّى فرغ منها، ثم أُرتجَ عليه فجعل يقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وجعل يردد ذلك، فقال الشاطر: ليس للشيطان ذنب إلا أنك لا تحسن تقرأ)) (ابن الجوزي،1997 :120)، فكان الصواب إذن أن يستعيذ ثم يقرأ بالفاتحة، وكان أيضا هذا الجواب قوة بديهة وحسن جواب من ذلك الشاطر، ليدل بهذا الاقتباس المعنوي من قوله تعالى: ((فإذا قرأتَ القرآنَ فاستعِذْ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيمِ)) (النحل:98) ، على المرجعية القرآنية حتَّى في تفسير أحوالهم أو ما يصيبهم.

الخاتمة:

بعد أن وصلت هذه الدراسة المعنية بتجليات المرجعية القرآنية في أحد كتب التراث الأدبي، مرحلة الخاتمة وما تتوخاه من نتائج خلصت إليها، يمكن ذكرها بالآتي:

(1)شكّلَت المرجعية الدينية ولا سيما القرآنية، قيمة فاعلة في توظيفات المتن الأدبي القديم، ولقد وظفها الكُتّاب في توثيق مضامين سعوا إليها؛ بغية توثيق أفكارهم التي يريدون بيانها، وقد تجلى ذلك في أحد الكتب التراثية الأدبية الذي اتجهت إليه الدراسة وهو كتاب (أخبار الظّراف والمُتماجنينَ)لابن الجوزي.

(2)عُرفَ ابن الجوزي بسعة مدارك الفقه والوعظ ، كما عُرفَ بالأسلوب الأدبي الرفيع في مؤلفاته، ويُعدّ الاتجاه الديني من أول وأهم المرجعيات في إنتاجه وتأليفه العلمي، ومن غير شك يمكن القول: إن ابن الجوزي قد وجد في القرآن الكريم خير وسيلة لممارسة تجاربه العلمية في التأليف، وقد قسَّم ابنُ الجوزي كتابه على ثلاثة أبواب، تجلَّت فيها المرجعيَّة القرآنية، لا سيَّما في الباب الأول الذي يتحدَّث عن أخبار الرجال، وهو بخمسة أقسام: (ما يُروى عن الأنبياء عليهم السلام، ما يُروى عن الصحابة، ما يُروى عن العلماء والحكماء، ما يُروى عن العرب، ما يُروى عن العوام)،.

(3)تمثل الجانب الأول من المرجعية القرآنية، وهو الاقتباس القرآني باتجاه المؤلف إلى استخدام النصوص الدينية التي تبرز وتظهر من شخصية الكاتب وقوة اطلاعه وثقافته الدينية، إضافة إلى ما في النص الديني القرآني من ابعاد جمالية تغني مقاصد النصوص الأدبية الواردة في أبواب الكتاب.

(4)كذلك تمثل الجانب الآخر من المرجعية القرآنية بتجليات القَصص القرآني، التي ذكرت ما جرى من قصص الأنبياء والرسل الكرام في القرآن الكريم، وأثر ذلك في إغناء النصوص الأدبية في كتاب دراستنا بالأخبار والسّيَر والمواعظ والعِبر، وتجسيد النص القصصي المؤثر بين المؤلف ومتلقي نتاجه الفكريّ.

المصادر

[1] القرآن الكريم
[2] ابن الجوزي، عبد الرحمن. (1997). أخبار الظراف والمتماجنين. تحقيق: بسام عبد الوهاب. بيروت: ط1.
[3] ابن خلكان. (1994). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر.
[4] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين. (1955). لسان العرب. بيروت: دار صادر، ط1.
[5] الألباني، محمد. (د.ت). سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة. الرياض: مكتبة المعارف.
[6] بهجت، أحمد. (د.ت). قصص الحيوان في القرآن. القاهرة: دار الشروق، ط4.
[7] الحنبلي، ابن العماد. (1979). شذرات الذهب في أخبار من ذهب. بيروت: دار المسيرة، ط2.
[8] الذهبي، شمس الدين. (1984). سير أعلام النبلاء. تحقيق: بشار عواد، ومحيي هلال. بيروت: ط1.
[9] رواحة، عبد الله بن. (2010). ديوان عبد الله بن رواحة. تحقيق: محمد علي القطب. بيروت: المكتبة العصرية، ط1.
[10] زايد، علي عشري. (1997). استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي. القاهرة: دار الفكر العربي.
[11] الطباخ، محمد راغب. (د.ت). الثقافة الإسلامية. بريطانيا: مكتبة إسماعيل للنشر.
[12] الطباطبائي، محمد حسين. (1997). الميزان في تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الأعلمي للنشر،

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ط1.

[13] عبد المحسن، عبد العزيز. (2004). الاقتباس أنواعه وأحكامه. بيروت: دار المنهاج للنشر.

[14] الفكيكي، عبد الهادي. (1996). الاقتباس من القرآن في الشعر. دمشق: دار النمير للنشر.

[15] القزويني، محمد بن عبد الرحمن. (د.ت). تلخيص المفتاح. مصر: مطبعة مصطفى الحلبي.

[16] كريستيفا، جوليا. (د.ت). علم النص. ترجمة: فريدا الزاهي. المغرب: دار توبقال للنشر.

[17] الكواز، محمد كريم. (2014). القصص القرآني. بغداد.

[18] ميلاد، زكي. (2010). المسألة الثقافية: من أجل بناء نظرية في الثقافة. بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط2.

[19] وهبة، مجدي، والمهندس، كامل. (1984). معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. بيروت: مكتبة لبنان، ط2.

[20] إسماعيل، يوسف. (2003). التعالق النصي في الخطاب الشعري: مقارنة نقدية. مجلة الاتحاد، عدد 86، اتحاد الكتاب العرب.

[21] جدوع، عزة محمد. (1953). التناص مع القرآن الكريم في الشعر العربي المعاصر. مجلة فكر وإبداع، عدد 19، الكويت.

[22] زياد، صالح. (2001). منظور التناص وحوارية الإقصاء الفني للهيمنة. سلسلة الآداب واللغويات، أبحاث اليرموك، مجلد 19، عدد 14.

[23] المدني، كريمة. (2015). المرجعيات الدينية في مقامات زين الدين بن الوردي: دراسة في الأداء والتوظيف. مجلة أهل البيت، عدد 17.

[24] مهدي، خولة. (2016). الاقتباس من القرآن في أدعية الصحيفة السجادية. مجلة كلية التربية، جامعة واسط، مجلد 6، عدد 24.